مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة: مقاربة تحليلية

المقدمة

شهد العالم المعاصر تحولات عميقة فرضتها الثورة الرقمية واتساع نطاق تكنولوجيا الاتصال والمعلومات. لقد أصبح تدفق المعلومات وتداولها عنصرًا مركزيًا في بناء الاقتصاد والسياسة والثقافة. ومع هذا التحول برزت مفاهيم جديدة مثل *مجتمع المعلومات* و*مجتمع المعرفة*، وهي مفاهيم تُستخدم أحيانًا بصورة مترادفة، رغم وجود اختلاف دقيق في مضمون كل منها. هذا الدرس يهدف إلى توضيح هذه المفاهيم، وتبيان مسار الانتقال نحو مجتمع المعرفة، إضافة إلى عرض مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية، والخدمات المعلوماتية المقدمة عبر الإنترنت، وصولًا إلى مناقشة سؤال جوهري: هل أصبح مجتمع المعرفة واقعًا قائمًا أم أنه ما يزال مشروعًا في طور التشكّل؟

أولًا: مفهوم مجتمع المعلومات

يُقصد بمجتمع المعلومات ذلك المجتمع الذي تقوم بنيته على إنتاج المعلومات ومعالجتها وتوزيعها عبر التقنيات الرقمية ووسائل الاتصال المتقدمة. في هذا السياق تصبح المعلومات موردًا اقتصاديًا واستراتيجيًا يوازي في قيمته الموارد التقليدية كالطاقة ورأس المال. ويؤكد مانويل كاستلز أن المجتمع المعاصر أصبح يقوم على "منطق الشبكات"، حيث تتشكل السلطة والاقتصاد وفق تدفقات المعلومات عبر شبكات رقمية عالمية.

يُنظر إلى المعلومات هنا بوصفها سلعة يمكن تخزينها واسترجاعها وتبادلها واستهلاكها، كما ترتبط بأسواق جديدة وقطاعات اقتصادية مثل البرمجيات، الاتصالات، الحوسبة السحابية، الذكاء الاصطناعي، والمحتوى الرقمي.

ثانيًا: مفهوم مجتمع المعرفة

يمثل مجتمع المعرفة مرحلة أكثر تقدمًا من مجتمع المعلومات. فالمعرفة ليست مجرد معلومات متراكمة، بل هي القدرة على *فهم* المعلومات وتفسيرها وتحويلها إلى حلول وأفكار وإبداع. وقد أشار بيتر دراكر إلى ظهور "العامل المعرفي" الذي يمتلك رأس مال يتمثل في مهارات التفكير والتحليل.

في مجتمع المعرفة يصبح التعليم المستمر، والبحث العلمي، والابتكار، والتطوير التكنولوجي ركائز أساسية للتنمية. وتتحول المعرفة إلى قوة إنتاجية تساهم في نمو الاقتصاد وصياغة السياسات العامة وتطوير أنماط الحياة.

إذن :

مجتمع المعلومات هو ذلك الذي يصبح فيه **الوصول إلى المعلومات وتبادلها** محورًا أساسيًا من أنشطة الحياة (تخزين، نقل، نشر).
مجتمع المعرفة هو ذلك الذي تصبح فيه هذه المعلومات **مصدرًا لإنتاج معرفة قابلة للتطبيق** —أي قدرة على التحليل، الابتكار، صناعة قرار، وإحداث تغيير اجتماعي أو اقتصادي.

مثال : المعلومات هي الطاقة الكهربائية مثلا والمعرفة هي تلك الهواتف الذكية التي تشحن بالطاقة الكهربائية أو أولئك المهندسين الدين يوجهون الطاقة الكهربائية لحاجة مفيدة

نسبة المنشورات العلمية الدولية والاستشهادات :(citations) زيادة هذه النسب دليل على إنتاج معرفة مُعترف بها دوليًا.

نسبة الإنفاق على البحث والتطوير إذا كانت مرتفعة فهذا دليل قوي على تحوّل نحو مجتمع المعرفة.

ثالثًا: خطوات الانتقال نحو مجتمع المعرفة والمعوقات

- **مسارات التحول من معلومات إلى معرفة (خطوات عملية)**

إن الانتقال نحو مجتمع المعرفة يحتاج إلى مجموعة شروط أساسية؛ أهمها:

- **الوصول** :بنية تحتية رقمية للاتصال وتخزين المعلومات.
- **التعليم** :مناهج تركز على الفهم النقدي والبحث لا الحفظ.
- **البحث** :مؤسسات بحثية تمويلها مستمر ومربوطة بصناعة.
- **الترجمة** :آليات لتحويل نتائج البحث إلى منتجات أو سياسات (مخابر، شركات ناشئة، وحدات نقل تكنولوجي).
- **الثقافة** :احترام العلم، تشجيع المخاطرة العلمية، وفتح المجال للنقاش العلمي العام.
- كل خطوة هي جسر من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة.

مؤشرات قياس مبسّطة (كيف تعرف أن مجتمعًا بات يعرف؟)

- زيادة في براءات الاختراع وتطبيقاتها الصناعية.
- ارتفاع نسبة الباحثين في كل ألف نسمة.
- نمو عدد المؤسسات التي تُحوّل نتائج البحث إلى منتجات.(spin-offs)
- برامج تعليمية تُدرّس التفكير النقدي ومنهجية البحث من المراحل المبكرة.
- توافر منصات نشر علمي محلي وبنية للنشر المفتوح.(Open Access)

غير أن هذا الانتقال يواجه جملة من التحديات؛ من أبرزها ضعف الثقافة الرقمية لدى شرائح من المجتمع، الفوارق الاقتصادية في الوصول إلى التكنولوجيا، هيمنة المحتوى الترفيهي على حساب المحتوى العلمي، وأحيانًا غياب البيئة التشريعية والتنظيمية التي تضمن حق الوصول للمعلومات وحمايتها في الوقت ذاته.

رابعًا: مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية

تتوزع مصادر المعلومات بين مصادر تقليدية مثل الكتب، الدوريات المطبوعة، المخطوطات، والأرشيفات الورقية. وهذه المصادر لا تزال تحتفظ بقيمتها العلمية والتوثيقية، خاصة في مجالات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.

أما المصادر غير التقليدية فهي تلك التي ظهرت مع التطور الرقمي وتشمل قواعد البيانات الإلكترونية، المكتبات الرقمية، المستودعات الأكاديمية، المنصات العلمية المفتوحة، الاجتماعات الافتراضية، والمحاضرات الإلكترونية.

هذه المصادر تتميز بسهولة الوصول، وسرعة البحث، وإمكانية مشاركة المعرفة بشكل عالمي دون حدود جغرافية أو زمنية.

خامسًا: خدمات المعلومات غير التقليدية عبر الإنترنت

وفرت الإنترنت خدمات جديدة متقدمة من أبرزها:

- الخدمات المرجعية الرقمية.
- الفهارس الإلكترونية للمكتبات.
- المستودعات العلمية للرسائل والأطروحات.
- قواعد البيانات البحثية مثل: JSTOR, Scopus, Web of Science.
- خدمات الإحاطة الجارية والتنبيه بمستجدات البحوث.
- التعليم المفتوح عبر منصات مثل: Coursera, EdX, Khan Academy.

لقد ساهمت هذه الخدمات في جعل المعرفة أكثر ديمقراطية، وأكثر تحررًا من القيود الزمانية والمكانية.

خاتمة المشكلة البحثية

يتبيّن أن الانتقال نحو مجتمع المعرفة لا يتحقق بمجرد امتلاك وسائل التكنولوجيا، وإنما يحتاج إلى وعي ثقافي يعتبر المعرفة قيمة اجتماعية وليست ترفًا. كما أن السؤال حول ما إذا كان مجتمع المعرفة واقعًا قائمًا أم لا، يرتبط بمدى قدرة المجتمع على إنتاج المعرفة وليس فقط استهلاكها. فالمجتمع الذي يستهلك المعلومات دون تحليل أو إنتاج يبقى في مرحلة مجتمع المعلومات، بينما يصبح مجتمع المعرفة قائمًا حين تتحول المعلومات إلى إبداع، والعلم إلى سلوك، والفكر إلى مشروع حضاري مستدام.

مراجع علمية موثوقة

- Castells, Manuel. *The Information Age: Economy, Society, and Culture*. Blackwell, 2010.

- Drucker, Peter. *Knowledge Work and the Knowledge Economy*. Harvard Business Press, 1998.
- UNESCO. *Towards Knowledge Societies*. Paris, 2005.

سادسًا: الرأسمال المعرفي والرأسمال الرمزي في مجتمع المعرفة

تُعد المعرفة اليوم شكلًا من أشكال **الرأسمال**، شأنها شأن الرأسمال الاقتصادي أو الاجتماعي. وقد طوّر بيار بورديو مفهوم **الرأسمال الرمزي** ليشير إلى المكانة والقيمة والاعتراف الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد أو المؤسسة بسبب امتلاكهم لموارد غير مادية، مثل العلم، الثقافة، المكانة، الشهادات، أو السمعة الأكاديمية. في مجتمع المعرفة يصبح الرأسمال الرمزي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالرأسمال **المعرفي**، أي قدرة الفرد أو المؤسسة على *امتلاك المعرفة*، *وتوظيفها*، *وإنتاجها*، وليس مجرد حيازتها.

إن الجامعات الرائدة ومراكز البحث المتقدمة والشركات التكنولوجية الكبرى تمتلك اليوم رأسمالًا معرفيًا يمكّنها من التأثير عالميًا. فامتلاك المعرفة المتخصصة يخلق مكانة رمزية تجعل صاحبها مرجعًا يُستشار، وصوتًا يُصغى إليه، وقوة قادرة على إعادة صياغة الوعي العام، والسياسات، والاتجاهات العلمية والاقتصادية. ويمكن القول هنا إن المنافسة بين الأفراد والمجتمعات لم تعد تُقاس بملكية الموارد الطبيعية، بل بقدرتهم على **إنتاج المعرفة وتوليد الابتكار**.

سابعًا: المعرفة كأداة هيمنة: كيف سيطر الغرب على العالم عبر احتكار المعلومة؟

شهد التاريخ الحديث صعود القوى الغربية من خلال التحكم في المعرفة قبل التحكم في الثروات. فخلال الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر لم يكن التفوق الغربي قائمًا فقط على ماكينات البخار أو الصناعات الثقيلة، بل على **احتكار المعرفة التقنية** .لقد سعت الدول الغربية آنذاك إلى منع انتقال التكنولوجيا إلى الأمم الأخرى، حيث كانت بريطانيا .على سبيل المثال .تحظر تصدير آلات الغزل والنسيج ومنع المهندسين من تعليمها في الخارج. هذا الاحتكار جعل المعرفة تتحول إلى *قوة جيواستراتيجية*.

ثم جاءت الثورة العلمية في القرن العشرين لتجعل البحث العلمي في قلب الهيمنة. فقد تمكنت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سابقًا من السيطرة على الصناعة العسكرية والفضائية والنووية من خلال استقطاب كبار العلماء، بما في ذلك العلماء الألمان بعد الحرب العالمية الثانية. وهكذا أصبحت **المختبرات العلمية** جزءًا من هندسة القوة السياسية.

وفي العصر الرقمي اليوم تتجلى هذه الهيمنة بشكل أوضح وأشد تنظيمًا. فقد أصبحت الشركات الغربية الكبرى مثل Google، Microsoft، Apple، Amazonتمتلك **البنية التحتية للمعرفة الرقمية**، من محركات البحث إلى قواعد البيانات إلى أنظمة الذكاء الاصطناعي. هذه الشركات لا توفر المعلومات فقط، بل تحدد *كيف* وماذا نرى ونعرف ونفهم. فهي تملك ما يسميه كاستلز **سلطة التحكم في تدفقات المعلومات**.

إن السوق العالمية للمعلومة ليست سوقًا حرة كما يُظن؛ بل هي سوق مضبوطة بمن يمتلك:

- الخوادم الكبرى
- مراكز البيانات
- الكود البرمجي
- أنظمة الذكاء الاصطناعي
- حقوق الملكية الفكرية
- شروط النشر العلمي

فعلى سبيل المثال، قواعد البيانات العلمية مثل *Scopus* و *Web of Science* تفرض اشتراكات سنوية ضخمة تجعل الوصول للبحث العلمي متاحًا لمن يملك القدرة الاقتصادية فقط. وهذا يعني أن **المعرفة أصبحت سلعة**.

أما في العلوم الحيوية والتكنولوجيا الدوائية، فإن شركات قليلة تحتكر براءات الاختراع، كما حدث أثناء جائحة كوفيد-19، حيث سيطرت شركات أمريكية وأوروبية على تكنولوجيا اللقاحات، مما منحها قوة اقتصادية وسياسية، في حين بقيت دول كثيرة تعتمد على نقل معرفي مشروط.

وبذلك يظهر أن **احتكار المعرفة** كان ولا يزال آلية أساسية لإعادة إنتاج عدم التكافؤ العالمي بين الشمال والجنوب، بين المنتجين والمستهلكين، بين من يكتب التاريخ ومن يقرأه.

ثانيًا: الفرق بين مجتمع المعرفة ومجتمع المعلومات

يمثل مجتمع المعرفة مرحلة أعلى من مجتمع المعلومات، إذ لا يقتصر الأمر على الحصول على المعلومات أو تخزينها أو تداولها، بل على **تحويلها إلى معرفة ذات قيمة إنتاجية**.

المعلومات هي *مواد خام*؛ أما المعرفة فهي *نتيجة الفهم والتحليل والاستخدام الإبداعي*.

الاختلاف الجوهري بينهما:

مجتمع المعرفة	مجتمع المعلومات	العنصر
فهم وتأويل وابتكار	بيانات ومعطيات	طبيعة المحتوى
إنتاج المعرفة والابتكار	تبادل المعلومات	الهدف
الإنسان (العقل والخبرة والبحث)	التكنولوجيا	الدور المركزي
القدرة على التفسير والتحويل والإبداع	سرعة الوصول	القيمة

لذلك يعتمد مجتمع المعرفة على:

- **التعليم النوعي لا التلقيني**
- **البحث العلمي وليس الحفظ**
- **تحويل المعرفة إلى اقتصاد (اقتصاد المعرفة)**
- **الابتكار والتطوير المستمر**

ركائز مجتمع المعرفة:

1. **تعليم يرتكز على التفكير لا الاستظهار**

   أي تعليم ينتج أفرادًا قادرين على **طرح الأسئلة** وليس فقط الإجابة عليها.

2. **بحث علمي مؤسسي**

   حيث تصبح الجامعة مركز إنتاج معرفة لا مجرد مؤسسة شهادات.

3. **اقتصاد معرفي**

   يعتمد على الابتكار والتكنولوجيا والبرمجيات والصناعات الذكية.

4. **ثقافة معرفية**

   تقدّر العلم وتحترم العلماء وتربط القيمة بالمعرفة لا بالمال فقط.

أمثلة دولية توضّح الانتقال إلى مجتمع المعرفة:

- **كوريا الجنوبية:**

  انتقلت من دولة مدمرة بعد الحرب إلى قوة صناعية وتقنية عبر **الاستثمار في التعليم والبحث**)سامسونغ، هيونداي.(

- **فنلندا:**

  جعلت التعليم محور التنمية فصارت من الدول الأولى في الابتكار (نموذج نظام المدارس المفتوحة والثقة في المعلم).

- **سنغافورة:**

  دولة بلا موارد طبيعية، لكنها امتلكت **المعرفة** فامتلكت **القوة**.

هنا يتجسد قول بيتر دراكر:

"الثروة الحقيقية اليوم لا تكمن في الأرض ولا في المصانع، بل في العقول التي تعرف كيف تُبدع".

جوهر الفرق بين المجتمعين

- مجتمع المعلومات قد ينتج مواطنين *مستهلكين للمعلومة*.
- مجتمع المعرفة ينتج مواطنين *منتجين للمعرفة*.

والفرق بين الاستهلاك والإنتاج هو **الفرق بين التبعية والريادة**.

كيف يتحول المجتمع من المعلومات إلى المعرفة

.1الاستثمار في البنية التحتية الرقمية

الفكرة :لا يمكن الوصول إلى مجتمع المعرفة بدون أساس تقني قوي يسمح بتخزين، معالجة، ونقل المعلومات بسرعة وفعالية.

إجراءات عملية:

- إنشاء شبكات اتصال عالية السرعة وموثوقة) ألياف بصرية، 5.(G
- إنشاء مكتبات رقمية وقواعد بيانات مفتوحة.
- توفير الأجهزة والبرمجيات للأفراد والمؤسسات.

أمثلة:

- كوريا الجنوبية استثمرت في بنية تحتية رقمية شاملة مكنت الطلاب والباحثين من الوصول إلى قواعد البيانات العالمية.
- الجامعات الأمريكية توفر منصات رقمية تربط المكتبات ومختبرات البحث العلمي.

.2تحسين جودة التعليم والتركيز على البحث

الفكرة :المعرفة ليست مجرد معلومات، بل **قدرة على التحليل والإبداع**.

.3تمويل البحث العلمي وتشجيع الابتكار

الفكرة :إنتاج المعرفة يحتاج إلى **موارد مالية وبشرية مستدامة**.

إجراءات عملية:

- إنشاء صناديق دعم للبحث العلمي والابتكار.(R&D)
- تحفيز القطاع الخاص على تمويل مشاريع بحثية وتجارية.

- تقديم منح وبرامج تشجيعية لتسجيل براءات الاختراع ونقل التكنولوجيا.

.4تطوير آليات ترجمة المعرفة

الفكرة :المعرفة الحقيقية تتحقق فقط عندما يتم **تحويل نتائج البحث إلى تطبيقات عملية أو سياسات.**

إجراءات عملية:

- إنشاء وحدات نقل التكنولوجيا في الجامعات.
- دعم الشركات الناشئة القائمة على البحث العلمي.(startups)
- صياغة سياسات تربط نتائج البحث بالاقتصاد الوطني أو الخدمات العامة.

.5بناء ثقافة معرفية ومجتمعية

الفكرة :المعرفة لا تنتشر فقط بالتكنولوجيا، بل بالوعي الثقافي والاجتماعي بأهمية البحث والتعلم.

إجراءات عملية:

- تشجيع المواطنين على استخدام المصادر الرقمية البحثية.
- تعزيز ثقافة المراجعة العلمية والنقد البناء.
- دعم الصحافة العلمية والمنصات التعليمية المفتوحة.

الخلاصة العملية

باختصار:

1. بنية تحتية رقمية قوية ⟵ الوصول للمعلومة.
2. تعليم وبحث علمي ⟵ تحويل المعلومة إلى معرفة.
3. تمويل وتشجيع الابتكار ⟵ إنتاج المعرفة القابلة للتطبيق.
4. وحدات ترجمة المعرفة ⟵ تحويل المعرفة إلى مشاريع وسياسات.
5. ثقافة معرفية عامة ⟵ قبول المجتمع والتفاعل مع المعرفة.
6. مؤشرات قياس الأداء ⟵ تقييم التحول والاستمرار في التطوير.

بهذا النهج، يمكن لأي مجتمع أو مؤسسة الانتقال من مرحلة الاستهلاك البسيط للمعلومة (مجتمع المعلومات) إلى مرحلة **الإنتاج الفعلي للمعرفة** (مجتمع المعرفة)، ما يجعل المعرفة قوة اقتصادية واجتماعية وسياسية حقيقية.

خاتمة عامة

إن مجتمع المعرفة ليس مجرد مرحلة تقنية، بل هو مشروع حضاري يتعلق بكيفية فهم المعرفة وتقديرها وتوظيفها. فالشعوب لا تتقدم لأن لديها المعلومات، بل لأنها قادرة على تحويل تلك المعلومات إلى معرفة، وتحويل المعرفة إلى إبداع، وتحويل الإبداع إلى مشروع اجتماعي واقتصادي وثقافي طويل المدى. إن امتلاك المعرفة هو امتلاك للقوة، ومن لا ينتج المعرفة سيجد نفسه لا محالة تابعًا في سياق عالمي يعيد تعريف القوة على أساس العقل لا السلاح، وعلى أساس الفكرة لا القوة المادية.

المراجع المعتمدة

.1بورديو، بيار.

أشكال الرأسمال الثقافي والرمزي .ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012.

(الأصل: Bourdieu, Pierre. "The Forms of Capital." In: Richardson, J. Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education. 1986.)

.2بورديو، بيار.

التمييز: نقد اجتماعي للحكم .ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1995.

.3كاستلز، مانويل.

عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة .ترجمة: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005.

(Castells, Manuel. *The Information Age: Economy, Society and Culture.* Blackwell, 2010.)

.4دراكر، بيتر.

مجتمع ما بعد الرأسمالية .ترجمة: فائز دومان، دار المعرفة، بيروت، 1995.

(Drucker, Peter. *Post-Capitalist Society.* Harper Business, 1993.)

.5اليونسكو.(UNESCO)

نحو مجتمعات المعرفة .باريس، 2005.

(UNESCO. *Towards Knowledge Societies.* Paris, 2005.)

.6منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.(OECD)

الاقتصاد المبني على المعرفة .باريس، 2020.

(OECD. *The Knowledge-Based Economy.* Paris, 2020.)

.7زبيدة، سعيد بن سعيد.

سوسيولوجيا المعرفة: المفاهيم والتطبيقات .دار الفكر العربي، القاهرة، 2018.

.8هوبزباوم، إريك.

عصر الثورة الصناعية .ترجمة: فايز الصياغ، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011.

(Hobsbawm, Eric. *The Age of Revolution.* Vintage, 1996.)

.9تشومسكي، نعوم.

السيطرة على الإعلام: الإنجازات العظيمة للبروباغندا .ترجمة: أميمة عبد اللطيف، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.

(Noam Chomsky. *Media Control.* Seven Stories Press, 1997.)

10. Zuboff, Shoshana.

The Age of Surveillance Capitalism. PublicAffairs, 2019.

)مرجع أساسي لفهم السيطرة الرقمية الغربية عبر البيانات(.